التطهر فى مصر القديمة : أصل فكرته المقدسة

د/رحاب عبد المنعم باظة•

ملخص :

كان من أهم ما تميزت به الحضارة المصرية القديمة هو التطهر المادي والمعنوي، فهناك تطهر الجسد وتطهر الروح. وقد كان الكهنة في مصر القديمة هم الأكثر استمساكا بشعائر الطهارة والتطهر. كما أنه كانت هناك تقاليد وشعائر تجرى للملوك والكهنة نتجت عن حاجاتهم وحاجة بيئتهم لهذه الطهارة. ومما لا شك فيه أن هذا التطهر قد نشأ عن فكرة دينية جعلته مقدساً. فقد كان هناك طهارة لليدين والقدمين والأظافر وسائر أعضاء البدن. وهناك نظافة خاصة للجسم تميز بها أفراد الشعب المصري القديم. وعرفت هذه الطقوس وسجلت على القطع الأثرية منذ عهد الملك نعرمر حث يقف الملك حافي القدمين وخلفه إناء الماء رمز التطهر.

الكلمات الدالة:

التطهر، الاغتسال، الحيض، الجنابة، النفاس، الموت، المقدسة.

• عضو الاتحاد العام للآثاريين العرب وعضو الجمعية التاريخية المصرية.

المنارة للاستشارات

www.

يعتبر التطهر من أهم الشعائر الدينية التى تميزت بها الحضارة المصرية القديمة. فقد اهتم المصرى القديم بالتطهر حسياً ومعنوياً، فهي لا تقتصر على الطهارة البدنية وحدها إنما امتدت لتشمل طهارة الروح. كما شملت أيضاً تطهر الآلهة، وتطهر الملوك، وتطهر الكهنة وتطهر الأفراد، سواءاً كانوا أحياءاً، أو أمواتاً، رجالاً أو نساءاً على حد سواء. ولا بد أن هذا التطهر نشأ عن فكرة معينة عند المصرى القديم وصلت به إلى أن جعلته أمراً مقدساً فى حياته بل وعند مماته. ومن ثم كان هذا البحث لدراسة كيف نشأت فكرة التطهر عند المصرى القديم.

ومن المرجح أن التطهر فى مصر القديمة بدأ منذ عصورما قبل التاريخ حيث ظهر لقب *wr ỉdt* أي (العظيم الخاص بهبة منح الماء) الذى يقوم بعملية التطهير فى *pr mw* وهو أحد بيوت التطهير الخاصة بالماء، والذى كان يسكن فيه الأفراد الذين يقومون بالتطهير، والدليل على ذلك أن إناء *ḳbḥw* قد ظهر فى لوحات قرابين الأسرة الثانية، ومن ثم فلابد أنه ظهر قبل ذلك. ويرى بعض العلماء مثل Blackman أن التطهر يرجع أساساً إلى مذهب أيونو، وأنه مرتبط بعقيدة الشمس، كما ظهر أيضاً فى مراسم تتويج الملك والاحتفال بتجديد جلوسه على العرش، وورد ذكره في كتب العالم الآخر بدءاً من نصوص الأهرام إلى كتب العصر المتأخر كما سيرد مفصلاً[١].

١/ تعريف التطهر:

التطهر (الطهارة) هو النظافة فى اللغة[٢]، وهو التخلص من الأدناس الحسية، والمعنوية؛ الحسية (النجاسة)، والمعنوية (أمراض القلوب كالكبر والحسد)[٣]، والطهر نقيض الحيض، ونقيض النجاسة، والجمع أطهار، ومنها طَهَر، وطَهُرَ، يطهر، طُهراً، وطهارة ومطهرة تجمع طهارة الأخلاق والعفة أى مطهرة من الأدناس والباطل[٤].

أما التطهر فى الشرع فيعرف بأنه رفع الحدث، ورفع الخبث، ويكون رفع الحدث بالوضوء والغسل، ويكون رفع الخبث بإزالة ما يتعلق بالثوب، والمكان، والبدن وغيره من النجاسات، وقد شرع الله عز وجل التطهر لبدن المؤمن وقلبه تنشيطاً لأعضائه وترويحاً لنفسه[٥].

---

(١) حنان محمد ربيع حافظ، طقسة سكب الماء، ص١٣٨-١٣٩.
(٢) عبد الجليل شلبي، فقه العبادات، ص١٠.
(٣) هشام الكامل حامد موسى، الامتاع بشرح متن أبي شجاع، ص١٧.
(٤) ابن منظور، لسان العرب، ص٢٧١٢-٢٧١٣.
(٥) محمد بكر إسماعيل، الفقه الواضح، المجلد الأول، ص٧٥.

المنارة للاستشارات
www.

وقد عبرت اللغة المصرية القديمة عن معنى التطهر بكلمة *wꜥb* [٦]، وأطلقت كلمة *wꜥb* لتعبر عن معنى (يصبح نظيفاً). وهى الكلمة التى وردت إلينا لأول مرة فى نصوص الأهرام، ولأنها تأتى لتعبر عن النظافة فقد أخذت مخصص 𓂝 مع مخصص 𓈙 حيث كان يتطهر بالماء والنطرون[٧]، أما الكاهن المطهر فهو *wꜥb* وهذا ظهر أيضاً من الدولة القديمة، وتستخدم أيضاً فى تطهير الجسد وتطهير الأضاحى[٨]، وتأتى ككاهن الإله أو كاهن المعبد، أما كاهن الملك فهو *wꜥb nswt* ومن عمل طبيباً سمى *wꜥb pr-ꜥ٣* وأصل وظيفة الكاهن المسمى (وعب) نعرفها عن طريق اسمه المأخوذ من كلمة *wꜥb* بمعنى (طاهر) و(نقى)؛ وكان بصفة عامة هناك فئتان من الكهنة فئة تقوم بأعمال كهنوتية معينة وهم "خدم الإله" وهؤلاء هم كهنة العبادة الحقيقيون، أما الفئة الثانية فهى (خري حب) وهم العلماء كاتب كتاب الإله وهم يقومون فى الاحتفالات بتلاوة الصيغ القديمة، والذين يعرفون أسرار السحر، وهؤلاء كانوا أطباءاً أيضاً[٩]. أما الكاهنة فهى *wꜥbt* وكذلك*wꜥb ḥmt* [١٠].

وهناك *wꜥbw* التى تعبرعن تطهير ملابس الآلهة، وملابس الأموات، وتأخذ مخصص قطعة القماش 𓌙، وكذلك *wꜥbt* للتعبير عن نفس المعنى، أما كلمة *wꜥbt* بمخصص الدار 𓉔 فإنها تعبر عن معنى (المكان الطاهر) وقد ظهرت منذ عصر الدولة القديمة انعكاساً للتعبير عن المكان النقي كغرفة فى المعبد، وكالمقصورة[١١]، وكذلك المقبرة، ومكان التحنيط. وعندما تأتى بمخصص السماء 𓇼 فهى للتعبير عن السماء النقية التي ينزل منها ماء المطر النقى الطاهر *wꜥbt* [١٢]، وهناك أيضاً *wꜥb* بمخصص قطعة اللحم 𓌜 للتعبير عن قطع اللحم ضمن مائدة القرابين، وجمعها *wꜥbwt* وقد ظهرت منذ الدولة الوسطى[١٣].

يتبين من هذه المعاني اللغوية والكلمات الهيروغليفية أي الأشياء التي يجب أن تكون طاهرة دائماً ومنها الملابس كملابس الآلهة، وملابس الملوك، وملابس المتوفى، والأماكن كقدس أقداس المعبد، ومكان التحنيط، والمقبرة، ومائدة القرابين وما عليها من طعام وشراب. أما عن ألقاب الكهنة فهى كثيرة يعتبر أهمها كاهن الإله، وكاهن الملك وهما اللذان يقومان بتطهير الإله والملك، وهناك أيضاً كاهنات. كما اعتبر

(6) Gardiner, A., Egyptian Grammar, P. 560.
(7) Wb I 280, 12, 13.
(8) Wb I 282, 13, 14.

(6)أدولف إرمان، ديانة مصر القديمة، ص٢١٠.

(10) Wb I 283, 1, 5, 6, 13,14.
(11) Gardiner, A., Egyptian Grammar, P. 560 & Wb I 283,17-20.
(12) Wb I 284, 8- 10.
(13) Wb I 284, 11-14.

المنارة للاستشارات
www.

المصري القديم ووضح في النصوص أيضاً أن ماء المطر النازل من السماء ماءاً طاهراً.

٢/ الماء الطهور وأدوات التطهير:

١/٢: الماء الطهور:

الماء الطهور في اللغة هو الماء الذى يتطهر به[١٤]. وكان نهر النيل المصدر الأول للماء الطهور عند المصري القديم، فقد قدس المصرى القديم نهر النيل الذى يحيا على مائه، ويعطى أرضه الصحة، والخصب، والقوة، والنماء، فقد وصفوه أوصافاً عديدة في قصائدهم الشعرية؛ ومنه ما ورد فى النشيد الآتي:

"كل من يرى النيل تدب الرعشة في أوصاله.

أما الحقول فهى تضحك.

وأما الشواطئ فتكسوها الخضرة.

وتتساقط هدايا هذا الإله.

وتعلو الفرحة وجوه البشر.

أما قلوب الآلهة فتخفق من السعادة".[١٥]

وكانت مياه النيل الجارية فى أى منطقة فيه رمزاً للطهارة، ووسيلة رئيسية من وسائل التطهر، والدليل على ذلك ما ذكره هيرودوت فى قوله: "انظروا! مس مصرى خنزيراً أثناء مروره به فذهب فى الحال وألقى بنفسه فى النهر دون أن يخلع ملابسه"، وهذا دليل على أن كل مياهه طاهرة فى أى بقعة من أرض مصر[١٦]. كما دل أيضاً على أن المصرى القديم كان يعتبر الخنزير من النجاسات التى لابد أن يتطهر منها الإنسان، أما رعاة الخنازير فرغم كونهم مصريين إلا أنهم كانوا الفئة الوحيدة غير المسموح لها بدخول المعابد، أو تزويج بناتهم إلا من أسر رعاة الخنازير مثلهم، فقد كان في ديانة المصري القديم أن الخنزير نجساً، ولا يتناول لحمه لكن يقدم ذبيحة للقمر فقط، وكان من المحرم فى المعابد كل التحريم أن

(١٤) ابن منظور، لسان العرب، ص٢٧١٢.
(١٥) أدولف إرمان، ديانة مصر القديمة، ص١٧.
(١٦) سامى رزق بشاي، التطهر وأوضاع التعبد في مصر القديمة، ص٤٠.

المنارة للاستشارات
www.

يحدث أى فرد صوتاً يشبه صوت الخنزير(١٧)، وهذا مما يتفق فيه مع الشريعة الإسلامية أيضاً(١٨).

٢/٢ : أدوات التطهير :

يعتبر الطست المصنوع من المرمر أهم أدوات التطهير وخاصة في الأعياد والاحتفالات. ويطلق عليه *ḥb* و *sš* ويأتي كمخصص فى كلمة *ḥbt* بمعنى (كتاب الشعائر والطقوس)، والعلامة المثلثة التى تظهر على جانب هذا الطست تمثل الطبقات متعددة الألوان للحجر الذى قد الحوض منه، وقد اقتصر هذا الطست كمخصص فى الكلمات الهيروغليفية الدالة على الأعياد مثل (عيد رأس السنة) 𓉐 حيث يظهر الطست ويعلوه مقصورة مدعمة بعمود، كما تأتى كمخصص لمعنى *ḫry-ḥbt* (الكاهن المرتل) الذى يقوم بتلاوة الشعائر، أما الجزء الذي يعلو الطست فهو كتلة الجزار، ويعد هذا دليلاً على ارتباط هذا الطست بطقوس التطهير الخاصة بالاحتفالات الدينية، لذلك فإن هذه العلامة تظهر أيضاً تحت الملك الجالس للاحتفال بعيده الثلاثيني للجلوس على العرش(١٩).

كان من أدوات التطهير أيضاً إبريق 𓀀 *ḥst* وهو إبريق طويل ضيق له قاعدة، وعادة ما كان يصنع من معادن ثمينة، ويتدلى منه في المناظر موجة المياه، وكان يظهر أحياناً على نحو متكرر بجانب قرابين الطعام المختلفة فوق الموائد دليلاً على تطهير هذه القرابين(٢٠). كما كان يستخدم هذا الإناء أيضاً فى إراقة الماء، واللبن، والخمر على حد سواء. وجاء كمخصص فى كلمة *ḳbb* بمعنى (ينتعش)، وكذلك (يصبح نشيطاً)، و(يكون هادئاً)(٢١)، حيث استعمل في سكب الماء بغرض التطهر الذى كان رمزاً طبيعياً للحياة وإعادة الحيوية عند المصرى القديم.

٣/ حالات التطهر عند المصرى القديم:

عرف المصرى القديم التطهر فى حالات كثيرة ولأسباب عدة منها ما كان أساسه سبباً دينياً، ومنها ما كان سببه معنوياً، وهما طهارتان عند المصري القديم طهارة حدث كانت تتم بالاغتسال، وطهارة خبث تتعلق بإزالة النجاسات، هذا بخلاف

---

(١٧) جورج بوزنر وآخرون، معجم الحضارة المصرية القديمة، ص١٥٢.

(١٨) قال تعالى: "إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"، سورة البقرة، الآية رقم (١٧٣).

(١٩) ريتشاد ولكنسون، دليل الفن المصرى القديم، ص٢٠٢، ٢٠٣.
& Gardiner, A., Egyptian Grammar, PP. 527-528.

(٢٠) ريتشاد ولكنسون، دليل الفن المصرى القديم، ص٢٠٤، ٢٠٥.

(21) Gardiner, A., Egyptian Grammar, P. 529.

المنارة للاستشارات
www.

النظافة العادية، فقد كان المصري القديم حريصاً على النظافة البدنية في حياته اليومية، فكان فى كل بيت حمام أطلق عليه *pr dw3t* وعرف ذلك منذ الدولة القديمة، وتعني (بيت الصباح) ربما تعبيراً عن النظافة اليومية التي يقوم بها كل صباح قبل توجهه إلى العمل. فكان الشعب كله فى حاجة ماسة لأمور النظافة اليومية والغسل[٢٢]. ويؤكد على ذلك وجود المفردات الهيروغليفية السابق ذكرها والتى تعبر عن معنى الانتعاش مثل كلمة *ḳbb* وهى فعل بمعنى (ينتعش)، ومنها كلمة *sḳbbwy* بمعنى كلمة (حمام) [٢٣]. حيث كانت الأم المصرية حريصة على نظافة أطفالها منذ مولده، وقد كان هذا مما تميز به المجتمع المصرى القديم عن غيره من سائر الأمم، فكما ذكر الكتاب الإغريق فإن أطفال أسبرطة كانوا يكتفون بالاستحمام فى أيام معينة فقط من السنة.

وكان الاغتسال يشترك فيه كل من الرجل والمرأة على حد سواء. كما كان هناك تطهر للبالغين أيضاً تساوى فيه الكبار والصغار، ويرى عبد العزيز صالح أن هذا الاغتسال كان له أثر كبير في تخفيف أضرار الخرافات والاعتماد على الرقى والتمائم التي شجع عليها أدعياء الطب والسحر فالوقاية خير من العلاج[٢٤]. أما موجبات الغسل نفسها عند المصري القديم فكانت على النحو التالي:

١/٣: الجنابة:

كان على كل من الرجل والمرأة في مصر القديمة على حد سواء أن يتطهرا بعد الجماع الجنسى حيث أن هذا اللقاء كان من الأسباب الناقضة للطهارة، ومسببة للنجاسة عند المصري القديم، فكان عليه أن يغتسل جيداً عدة مرات لضمان النظافة وتمام الطهارة، مع غسل أعضائه التناسلية بعناية فائقة حيث كان المنى من النجاسات عند المصرى القديم[٢٥]. وقد عرفنا هذا الأمر من قصة (العاشقين والتمساح) التى ترجع أحداثها للقرن الثامن والعشرين قبل الميلاد، فالقصة تحكى عن خيانة زوجة كاهن كبير فى مدينة منف يدعى "وبا إنر" لزوجها بعد أن هامت بحب فتى آخر من نفس المدينة، وكان يختلى بها خلسة فى جوسق بحديقة قصرها، وإذا قام عنها اغتسل فى بركة صغيرة بالحديقة نفسها. وتبين من سياق القصة أن التطهر بعد الجماع كان فى شريعة المصرى القديم[٢٦].

---

(٢٢) سامى رزق بشاي، التطهر وأوضاع التعبد في مصر القديمة، ص١٢، ١٣.

(23) Gardiner, A., Egyptian Grammar, P. 596.

(٢٤) عبد العزيز صالح الأسرة المصرية في عصورها القديمة، ص٨٢، ص ٨٤.

(٢٥) سامى رزق بشاي، التطهر وأوضاع التعبد في مصر القديمة، ص١٧.

(٢٦) عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول، ص٣٧٩.

المنارة للاستشارات
www.

وكان على المرء في هذا التطهر أن يغتسل ثلاث مرات فى الغالب ثم يرتدى ملابس نظيفة ويتطيب بالعطور والبخور ويتلو الأدعية المختلفة حتى يستطيع أداء الصلاة والشعائر اليومية بعد التطهر.

٢/٣: النفاس:

كان على الأم بعد أن تضع مولودها أن تقوم أولاً بعملية النظافة المعتادة فى هذه الحالة مع الدعاء للأم بالسلامة والحماية مع وجود إلهات هذا الموقف وهن تاورت، وإيزيس، ونفتيس، وحتحور. كما كان على الأم أن تتطهر بعد اليوم الرابع عشر بالماء الدافئ الممزوج بالروائح العطرية، ويصاحب هذا الاغتسال إطلاق البخور، والصلوات، والابتهالات إلى إلهات الحماية للأمهات الوالدات ثم يعقد حفل للوالدة تحضره سيدات يجب أن يكن طاهرات أيضاً ويتناولن أطعمة معدة لهذه المناسبة(٢٧). وقد عرفنا ذلك من أسطورة ترجع لعصور الدولة القديمة صورت ميلاد ثلاثة توائم لامرأة مباركة تسمى "رود جدت" وكاهن من أولياء رع رب الشمس يسمى "وسر رع" أنه حين جاءها المخاض ثم تمت عملية الولادة بعد ذلك فإن هذه الأم قد تطهرت من النفاس بعد أربعة عشر يوماً(٢٨).

٣/٣: انقطاع الحيض:

كانت المرأة فى مصر القديمة فى فترة الحيض تعتبر غير طاهرة، ومن ثم لا يحق لها أن تدخل المعابد، أو تؤدى شعائر الصلاة، أو أى شعائر دينية أخرى. وكان عليها أن تتطهر بعد انتهاء فترة الحيض، فتغتسل ثلاث مرات أيضاً بالماء المذاب فيه النطرون ثم تتعطر بعد ذلك وتتبخر مع تلاوة أدعية وصلوات تؤهلها للطهارة، وكانت تمتنع عن الجماع الجنسى فى هذه الفترة، كما أن دم الحيض هذا كان يعتبر أيضاً من النجاسات عند المصرى القديم(٢٩).

٤/٣: غسل الموت:

تعتبر طهارة الميت من أهم ما تضمنته الشعائر الجنازية في مصر القديمة سواء للأفراد أو الملوك على حد سواء. كما أننا نعلم من المقابر نفسها أن مقصورة المقبرة هي مكان مقدس، وأن زائريه لابد أن يكونوا طاهرين حتى يتمكنوا من دخوله، لذلك فإنه كان يحرم على من يأكلون المحرمات أو يأتون من الجماع دون غسل أو يكونون غير طاهرين لأى سبب أن يدخلوا المقابر(٣٠).

---

(٢٧) سامى رزق بشاي، التطهر وأوضاع التعبد في مصر القديمة، ص١٩-٢١.
(٢٨) عبد العزيز صالح، الأسرة المصرية في عصورها القديمة، ص٧٧-٧٨.
(٢٩) عبد العزيز صالح، الأسرة المصرية فى عصورها القديمة، ص٢٠.
(٣٠) جيمس هنرى برستيد، فجر الضمير، ص٢٦٧.

المنارة للاستشارات
www.

وقد ذكر غسل الملك الميت بوضوح وتكرار فى كثير من نصوص الأهرام، حيث كان يتم تغسيل الملك المتوفى بالماء الذى يصب فوق البدن كله، أو بالاستحمام فى البحيرة المقدسة الواقعة فى الحقول المباركة، حتى أن الآلهة كانت تقوم بخدمة الملك فى وقت إنجاز ذلك الغسل فيقدمون إليه المناشف ثم الملابس، وهذا التطهر يقابله سليم حسن بغسل الميت فى الشريعة الإسلامية(٣١). وورد في الفقرة ٣٥ من نصوص الأهرام أن تطهير الملك الميت يقوم به أربعة أرباب، وقد جاء فيها:

"إن تطهيرك هو تطهير حورس،

"إن تطهيرك هو تطهير ست،

"إن تطهيرك هو تطهير تحوت،

"إن تطهيرك هو تطهير دون عن وى *dwn ʿn wy*،(٣٢)

إن تطهيرك يكون بينهم "(٣٣).

وكان على هذه الآلهة الأربعة تلاوة تعويذة معينة بعد الانتهاء من عملية الغسل. يقول فيها الأول: "إنه يكون طاهراً (الملك) إنه المطهر على تله إنه رع الذى يضئ أو يلمع فى جماله"، ويقول الثانى: "إنه يكون طاهراً على تله"، ويقول الثالث: "إنه الذى أنقذ نفسه بالتطهير والسكب"، ويقول الرابع: "إنه طاهر إنه المطهر على ضفته". حيث تتلى هذه التعويذة للملك الميت بعد أن يتم تطهيره ويمر بنون(٣٤). كما كان يتلى نص آخر أثناء تطهير الملك المتوفى ورد فيه: "ستتحد لك عظامك، الذى ينتمى إليك يعود إليك كاملاً". وكان يطلق البخور أثناء عملية التطهير، ويقف شخص آخر أيضاً مهمته حمل صندوق الملابس النظيفة فيقوم المطهر بكساء الجسد بطبقة واحدة من القماش أو أكثر بعد معالجة الجسد بالدهان، والمراهم، والصمغ، والطيب(٣٥).

كما توضح نصوص العالم الآخر بدءاً من نصوص الأهرام ثم نصوص التوابيت وعبر العصور تعمق الشعور بالمسئولية الأخلاقية تعمقاً عظيماً فى هذا العالم. ويتجلى ذلك بوضوح فى مشاهد حساب الآخرة، فنجد المتوفى يقول: "إن خطيئتي قد أقصيت عنى، ومحى إثمى، ولقد طهرت نفسى فى تينك البحيرتين العظيمتين اللتين فى إهناس"؛ ويقول أيضاً: "إننى أسير فوق الطرق التى أغسل فيها رأسي فى بحيرة الحق"، أما فى كتاب

(٣١) جيمس هنرى برستيد، فجر الضمير، ص٩١.

(٣٢) هو المعبود الرئيسى في الإقليم الثامن من مصر العليا على الضفة الشرقية للنيل، للمزيد من الدراسات، انظر: حنان محمد ربيع حافظ: طقسة سكب الماء، ص١٤٠، ملحوظة (٥).

(33) Faulkner, R.O., The Ancient Egyptian pyramid Texts, P.70.

(٣٤) حنان محمد ربيع حافظ، طقسة سكب الماء، ص١٤٠، ص١٤٣.

(٣٥) حنان محمد ربيع حافظ، طقسة سكب الماء، ص١٩٣-١٩٤.

&Ikram,S., Death and Burial in Ancient Egypt, P.195.

المنارة للاستشارات
www.

الموتى فقد ورد فى أحد فصوله تحت عنوان: (فصل فى دخول قاعة الحق/ الصدق)، جاء فيه ما يقوله المتوفى عندما يتطهر ثم يصل إلى القاعة فيصبح مطهراً من كل الذنوب التى اقترفها فيوجه نظره إلى الإله ويلقى عليه السلام وعلى الآلهة التى معه ثم يقول:

"انظر! لقد أتيت إليك،

"إنى أحضر العدالة إليك، وأقصى الخطيئة عنك،

"إنى لم ارتكب ضد الناس أى خطيئة،

"إنى لم آت سوءاً فى مكان الحق،

"وإنى لم أعرف أية خطيئة ....."

ويستمر المتوفى فى إعلان براءته ثم يقول لآلهة المحكمة العظمى:

"نجونى أنتم واحمونى أنتم،

"ولا تقدموا ضدى أية شكاية أمام الإله العظيم،

"لأنى إنسان طاهر الفم، وطاهر اليدين،

"وإنى من قاله له كل من رآه، مرحباً ! مرحباً !"[٣٦].

ويتبين من هذه النصوص الجنازية بدءاً من النصوص المصاحبة لغسل الميت وحتى كتاب الموتى أن الهدف من هذا الغسل هو طهارة روح المتوفى، وإظهار جماله الذي سيضيء به في العالم الآخر، وأن هذا التطهر سينقذه في هذا العالم، وسيكون سبباً في اتحاد عظامه إذا ما بليت فتكتمل هيئته مرة أخرى. كما يظهر أثر التطهر أيضاً في الانعكاس الأخلاقي له على المتوفى حيث أنه بهذا التطهر يترك وراءه الرذائل الخلقية فيبتعد عن الشرور، والآثام، والذنوب، والخطايا التى اكتسبها فى حياته الدنيا فيصبح بذلك مؤلهاً لدخول حضرة آلهة محكمة العدل العظمى فى العالم الآخر، ومن ثم تعلن براءته من كل ما يمكن أن ينسب إليه من سوء، وهنا يحق له أن يطلب النجاة والحماية من الآلهة لأنه أصبح طاهراً.

٥/٣ : قبل أداء الشعائر الدينية:

كان التطهر شرطاً أساسياً لكل من يدخل المعبد سواء كان ذلك خاصاً بالملوك أو الكهنة أو عامة الشعب فى المناسبات المختلفة، والأعياد، والاحتفالات. كما كان شرطاً أساسياً قبل أداء الشعائر الدينية المختلفة.

(٣٦) جيمس هنري برستيد، فجر الضمير، ص٢٦٧-٢٧٧.

المنارة للاستشارات
www.

١/٥/٣: تطهير تمثال الإله:

كان لابد من تطهير تماثيل الآلهة لا سيما التمثال الرئيسى للإله وهو الخاص بإقامة الشعائر الدينية، والذى يعبر عن كافة التماثيل الأخرى، ويضفى على الإله صورته كسند ومرجع داخل الناووس الذى يوضع فى قدس أقداس المعبد، وكانت تقام الشعائر اليومية لتمثال الإله صباح كل يوم من أجل استدعاء وجوده، ويتم الإعداد لهذه الشعائر فى الساعة الأخيرة من الليل، والأولى من النهار، حيث يتم إعداد القرابين المطهرة، ويدخل موكب حاملى القرابين إلى المعبد، ويقوم أحد الكهنة بقراءة كتاب الشعائر أثناء وضع القرابين فى أماكنها، وعندئذ يبدأ الاستعداد لفتح أبوب ناووس الإله، ويستعد الملك لدخول قدس الأقداس فيقوم بتحطيم الختم، وكسر مزلاج الناووس، وهنا يؤكد الملك أنه طاهر(٣٧). فكل ما يقوم به الكهنة من أعمال التطهر خلال مباشرة مناسكهم، وشعائرهم هو ظل آخر لما يقومون به نحو الملك أيضاً الذى يجب أن يكون طاهراً سواء فى مقره العظيم كل صباح حينما يذهب إلى حمامه الخاص محاطاً بالكهنة، والحاشية مع تلاوة تراتيل الصباح التى تدعو له بالصحة، والسعادة، والخلود الدائم مع مصاحبة البخور المنبعث من مباخر الكهنة المطهرين وهذا من الطقوس اليومية. أو سواء كان ذلك من أجل الشعائر التى يؤديها الملك لتمثال الإله فى قدس الأقداس كل يوم أيضاً(٣٨) حيث يكون المكان مظلماً ظلاماً خفيفاً، ومضاءاً بالشموع فيشرق وجه الإله لحظة بزوغ الشمس فى الأفق، وهنا يظهر الإله ظهوراً مادياً واضحاً، وتتوالى مشاهد الورع، والتأمل، والعبادة ويتبين بوضوح نهاية هذا المشهد فى النص التالى: "إنه (الملك) يدخل، وهو طاهر، من أجل تزيين هيكل حورس، من أجل أن يضع المؤن فوق مائدة القرص المجنح الإلهى من أجل ملء مسكنه....."(٣٩).

وتعكس لنا أحد النصوص المصاحبة لهذه الشعائر كينونة الإله على النحو التالي: "إنه أكثر مناعة مما يتراءى فى السماء، وأكثر غموضاً من أحوال العالم الآخر، وأكثر تمجيداً من ساكني المحيط الأزلي". مما يشير إلى منعة ذات الإله كمنعة النجوم، وغيبية كنهه تماماً كغموض عالم ما بعد الموت، مع غاية تبجيله وتمجيده. فهو يدل على القصور البشري عن الإدراك الإلهي والإحاطة بعلم الإله. ولعل هذا النص يقربنا من قوله تعالى: " . . . يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ . . . . "(٤٠). وبالرغم من وجود تمثال الإله داخل الناووس في قدس الأقداس إلا أنه كان هناك الكثير من

(٣٧) ديمتري ميكس، الحياة اليومية للآلهة الفرعونية، ص٢٢٧-٢٢٩.
(٣٨) سامى رزق بشاي، التطهر وأوضاع التعبد فى مصر القديمة، ص٣١.
(٣٩) ديمتري ميكس، الحياة اليومية للآلهة الفرعونية، ص٢٢٩.
(٤٠) سورة البقرة، الآية رقم (٢٥٥).

المنارة للاستشارات
www.

أهل الفكر والمنطق السليم من دعاة التوحيد الذي ظهر فكرهم من خلال تعاليمهم ونصائحهم في أعقاب الدولة القديمة، وقد رأوا أن التمثال شيء والإله المعبود شيء آخر، وأن روح الإله لا يمكن أن تظل حبيسة في تمثاله أو أن تحد بحد، وأنه أياً ما اختلفت التماثيل فإن الرب واحد، وذكر أحدهم وهو يعظ ولده: "(واذكر أن) الإله قد أخفي ذاته بذاته، وأنه يعلم بخصال البشر، وأنه يعلم أنه ذا الأيد أولاً ألا يقاوم إذا كان محسوساً فيما يراه البصر، فاعبد الرب إذاً على سبيله التي ارتضاها، سواء صنعت من حجر أو شكلت من معدن...."[٤١]. ويشير هذا النص في البداية إلى خفاء ذات الإله، أي أن الأبصار لا تدركه وأن عبادة التمثال الحجري أو المعدني أو غيرهما ما هي إلا وسيلة ليكون الإله مرئياً من جانب متعبديه. إذاً فمن صفات الإله هنا الخفاء وعدم الظهور لأنه أخفى نفسه بذاته بحيث لا يراه سائر البشر. وهو ما يتوافق مع قوله تعالى في وصف ذاته العلية: "لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ"[٤٢]. أما تطهير الإله نفسه داخل الناووس فهو يرجع إلى فكرة التقديس في الأساس لأن التقديس لغة التطهر، ولأن الإله قدوس طاهر فلا يليق أن يرفع له إلا طاهر، ولعل هذا يفسر كل التطهر المحيط بالكيان والوجود الإلهى داخل قدس أقداس المعبد.

وتنتهى الطقوس اليومية بعد غسل تمثال الإله وتطهيره بوضع الروائح العطرية، وإلباس الإله أرديته، وشرائطه الملونة، وتتويج رأسه، ووضع شاراته فى يديه، ثم تكون طقسة سكب الماء رمزاً إلى بعث الحياة المتجددة والدائمة فيه. وعند إقامة الصلوات بالمعبد كان يقوم الكهنة بطقسة سكب الماء التى تهدف إلى التطهر نحو المصلين وذلك برش رذاذ الماء المقدس، الموضوع أمام الكاهن، وذلك لإكساب المصلين الطهارة من الإله المقام له الصلاة كنوع من رضائه عنهم[٤٣].

٢/٥/٣: تطهير الملك:

كان على الملك أن يتطهر أيضاً قبل أن يقوم بتطهير تمثال الإله أو أداء الشعائر الدينية المختلفة. وكان الكهنة الذين يطهرون الملك ويقومون بتدليك جسده بالدهون العطرية يأخذون لقب *w'b nsw*، وكان عليهم أن يتطهروا أيضاً مرتين فى اليوم الواحد فى بحيرة المعبد المقدسة، أو في حوض من المرمر، ويكون ذلك بسكب الماء من أعلى لأسفل بالماء الجارى الطهور وليس بالماء الراكد. وكان تطهر الكهنة هذا يعتبر شرطاً أساسياً أيضاً لممارسة شعائر الخدمة اليومية بالمعبد، وذلك لأنه يجب أن تكون أجسامهم نظيفة عند لقائهم بالإله وتطهيره، ومن أجل طرد

(٤١) عبد العزيز صالح، قصة الدين في مصر القديمة، ص ٥٦.
(٤٢) سورة الأنعام، الآية رقم (١٠٣).
(٤٣) سامى رزق بشاي، التطهر وأوضاع التعبد في مصر القديمة، ص ٢٦، ص٢٩.

المنارة للاستشارات
www.

القوى غير الطاهرة، والمضرة، والأرواح الشريرة، فالطهارة الجسدية مغزاها طرد الأرواح الشريرة التى داخل الجسم كي لا تنتقل للإله(٤٤).

يتبين الغرض الأساسى من تطهير الملك الحى بواسطة الكهنة الذين يقومون بدور الآلهة من خلال النصوص الواردة في ذلك، ومنها ما ورد فيه: "إننى أعطيك كل الحياة، وكل الصحة مثل رع"، وفي نص آخر: "لابد أن تكون (قرناؤكم) أنفسكم *kꜣw* سلمية طاهرة"، مما يعني أن الهدف من تطهر الملك هنا هو إعطاء الحياة والقوة والصحة له مثل الإله وكأنه لابد أن يحمل هذه الخصائص قبل دخوله حضرة الإله وحرمه، هذا بالإضافة إلى طهارة الجسد والروح لأن الآلهة لا تقبل إلا طاهر الجسد والروح.

٦/٣ : خلال الاحتفالات القومية:

كان الملك فى مصر القديمة يشارك في العديد من المناسبات، والاحتفالات القومية الهامة التى يقام لها العديد من الطقوس التى كان التطهر من أهمها. وذلك منذ بدء حياته كأمير وراثى له ولاية العهد، خاصة إذا كان الأمير الأول الذى يشارك فى الحكم مع أبيه الملك حتى يأتى موعد تتويجه لحكم البلاد.

١/٦/٣ : قبل مراسم التتويج:

يعتبر أقدم منظر يبين لنا تطهر الملك حتى الآن أثناء التتويج هو ما ظهر على لوحة الملك نعرمر أول ملك مصري فى العصور التاريخية القديمة، حيث يظهر على أحد وجهى اللوحة واقفاً مرتدياً تاج الوجه البحرى وعار القدمين وخلفه ياوره يحمل فى يده اليمنى دلواً صغيراً للماء، وفى يده اليسرى الصندل الملكي، وهذا دليل واضح على أن الملك لابد أن تتطهر قدمه قبل وبعد هذه الشعائر التى يؤديها وهو خالعاً صندله(٤٥). ورأى Blackman أن تطهير الملوك قبل مراسم التتويج مرده إلى عقيدة الشمس فى إيونو، وأن الغرض من هذا التطهر أن يلحق بالتاسوع الإلهى العظيم، ويستقبل أرباب المقاصير، ليمنحونه الصحة، والحياة، ولما ينتهى الملك من التطهر يذهب إلى الصلاة، وتقديم القرابين، وهذا من الشعائر المتبعة أيضاً فى هذه المناسبة(٤٦).

كان التطهر يتم بالليل والنهار فى قدس أقداس المعبد. أما التتويج نفسه فيتم مع تلاوة أنشودة الصباح، ويصاحبه تطهير التميمة، مع تلاوة نص ورد فيه: "(تلاوة) (من وجهة أنه يأتى) (أنه يمحو) كل السوء والشرور وكل ما هو بغيض أو فظيع الذى يفعله

(٤٤) حنان محمد ربيع حافظ، طقسة سكب الماء، ص١٦١، ص١٨٥.
(٤٥) سامى رزق بشاي، التطهر وأوضاع التعبد في مصر القديمة، ص٣٣.
(٤٦) حنان محمد ربيع حافظ، طقسة سكب الماء، ص١٥٥.

المنارة للاستشارات
www.

(وذلك بتطهيره فى البحيرة) وفمه طاهراً.....لقد حصل الملك على الطهارة فليعش موفقاً معافاً، الملك أعطى قرباناً، الملك يكون طاهراً". ويتبين من هذا النص المصاحب لمراسم التتويج أن الملك كان يتطهر حتى يمحو الخطايا والآثام التي اكتسبها في حياته قبل تولي العرش فيبدأ حكمه نقياً طاهر الفم مع الأمنيات له بالعيش في صحة وسلامة ومعافاة بعد أن تطهر(٤٧).

٢/٦/٣ : فى احتفالات العيد الثلاثيني للجلوس على العرش *ḥb sd*:

كان تطهر الملك من أهم الشعائر التى تتم فى احتفالات العيد الثلاثيني لجلوس الملك على العرش *ḥb sd* وهو الذى يقام للملك كل ثلاثين عاماً من حكمه، وفيه يعلن الملك تجديد شبابه وفق شعائر وطقوس معينة تمكنه من استمرار حكمه للبلاد. فكان عليه أن يؤدى بعض الطقوس العنيفة كالجرى، والصيد، وتقييد الثيران حتى يثبت أنه ملكاً قوياً موفور الصحة، والعافية. وفيه يتوج مرتان؛ مرة باعتباره ملكاً لمصر العليا، ومرة أخرى باعتباره ملكاً لمصر السفلى.

كان على الملك أن يتطهر بواسطة سكب الماء بشكل طقسى على رأسه، ويديه، وقدميه بالماء المقدس، ثم يلبس بعد ذلك الرداء الملكى، والتيجان، والصولجان، والشعارات الملكية، ثم يقوم الكهنة بتقديم القرابين له بعد ذلك مع فروض الولاء، والطاعة، والعبادة للملك الذى جدد شبابه، كما تقدم القرابين للآلهة فى المعابد، ويشارك عامة الشعب في هذه الاحتفالات التي تقام ابتهاجاً بهذه المناسبة الكبرى(٤٨).

٣/٦/٣ : قبل المعارك الحربية:

كان على الملك فى مصر القديمة قبل أن يخرج للقاء الأعداء فى المعارك الحربية الهامة – باعتباره القائد الأعلى للجيش – أن يتوجه إلى معبد الإله الأكبر ليتطهر، ويصلى للإله حتى يهبه الرعاية، والحماية، والعون خلال المعركة ثم الانتصار فيها. ومن ثم كان على الملك بعد الانتصار أن يعود للإله مرة أخرى ليقدم له الشكر على معاونته له، ورعايته خلال المعركة، ثم يقدم القرابين للإله من الغنائم التى عاد بها الجيش منتصراً حتى يحظى بحب الإله له ورضائه الدائم عنه وتأييده له. ولا شك أن خروج الملك متطهراً فى المعارك الحربية كان الغرض منه أن يخرج الملك إلى الحرب متخلصاً من ذنوبه وآثامه ومتى تخلص منها أصبح سالماً معافاً قوياً فى ملاقاة أعدائه ومن ثم تحقق له النصر(٤٩). ولعل هذا الحدث يذكرنا بالتطهير الإلهي للمؤمنين قبل غزوة بدر فبعد أن غشاهم النعاس أنزل عليهم ماءاً

---

(٤٧) حنان محمد ربيع حافظ، طقسة سكب الماء، ص١٤١-١٤٢.

(48) Fairman, H.W., In Hooks, Myth, Rutual and Kingship, P. 216.

(٤٩) سامى رزق بشاي، التطهر وأوضاع التعبد فى مصر القديمة، ص٣٥.

المنارة للاستشارات
www.

من السماء ليطهرهم به بعد خوفهم قبل لقاء العدو بسبب قلة عددهم وكثرة عدد كفار قريش(٥٠)، قال تعالى: "إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ"(٥١). إذاً فالغرض من التطهر كان هو ذهاب المخاوف، وطمئنة القلب، والثبات قبل لقاء العدو. وأحسب أن المصرى القديم أدرك هذه المعانى الهامة للتطهر قبل الخروج للمعارك الحربية.

٤/٦/٣ : عند وضع حجر أساس المعبد:

كان لا بد للملك أن يتطهر هو وزوجته الملكية الأولى أو كبرى بناته مع بعض الطقوس الأخرى الهامة قبل وضع حجر أساس أي معبد جديد. حيث كان في اعتقاد المصرى القديم أن تحوت وسشات (أو تفنوت) يقومان بغرس الأوتاد فى الأرض التى سيقام عليها المعبد، وشد الحبال لتحديد أركان وأبعاد المعبد المراد إنشاؤه، ويقوم الملك بالتطهر باعتباره هنا تحوت، أما الملكة أو الأميرة فهى سشات، وبعد تحديد أبعاد المعبد ترش أرضيته بالماء المقدس، وهذا يوافق شعائر المصري القديم فيما يخص المعابد المطهرة دائماً والتي لا يدخلها إلا من كان طاهراً(٥٢).

٤/ التطهر من الخبائث عند المصري القديم:

يعني التطهر من الخبث إزالة ما تعلق بالثوب والمكان والبدن وغيره من النجاسات(٥٣). وقد حدد المصرى القديم بعض الأشياء النجسة التي كان عليه أن يتطهر منها، ومنها مثلاً الدم، فقد كان دم الحيض من النجاسات التى تلوث كل ما يلمسه، ومن ثم كان عليه أن يطهر كل ما لمسه هذا الدم(٥٤). وكان الخنزير أيضاً عند المصرى القديم من النجاسات التى يجب أن يتطهر منها الإنسان فبمجرد أن يمسه الإنسان يصبح غير طاهر، ويحرم لحمه أيضاً فى الطعام، وفى القرابين(٥٥). كما كان يحرم على الكهنة أيضاً تناول بعض الأطعمة كأجزاء معينة من جسم الحيوان المذبوح كالرأس، والأرجل، والأجزاء الأمامية منه، ولحم الماعز أيضاً،

(٥٠) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٢٢-٢٣.
(٥١) سورة الأنفال، الآية رقم (١١).
(٥٢) سامى رزق بشاي، التطهر وأوضاع التعبد في مصر القديمة، ص٣٣-٣٤.
(٥٣) محمد بكر إسماعيل، الفقه الواضح، ص٢٩.
(٥٤) سامى رزق بشاي، التطهر وأوضاع التعبد في مصر القديمة، ص٢٠.
(٥٥) جورج بوزنر وآخرون، معجم الحضارة المصرية القديمة، ص١٥٢.

المنارة للاستشارات
www.

والحمام، والبجع، والأسماك، وكذلك الخضر، والفول، والثوم، وكذلك ملح الطعام[٥٦].

١/٤: طهارة البدن:

يعتبر تطهير البدن أهم شيء في عملية التطهير كلها. فكان يبدأ بإزالة النجاسات أولاً، ثم يقوم بعد ذلك بغسل أعضاء جسمه بإتقان كبير حتى تكون طهارته صحيحة، وهذه الأعضاء هى:

- **غسل وتطهير الفم:**

أطلق عليه بالهيروغليفية *ỉʿw r3*[٥٧]، وكان ضمن الأعضاء الواجب غسلها أثناء التطهر على الرغم من أنه كان من العادات المستخدمة دائماً قبل الأكل وبعده، حيث كان يذاب في الماء قليل من ملح النطرون وبعض النباتات العطرية اثناء المضمضة، وكان ذلك يتم أيضاً قبل تلاوة الأقوال المقدسة، وقبل الصلوات، وقبل أداء القسم بالآلهة، وبعد القسم أيضاً[٥٨].

- **غسل اليدين:**

أطلق عليه بالهيروغليفية *ỉʿỉ dr̲t*[٥٩]، وتكتب كلمة *wʿb* بالذراع الممدود مـ والساق 𓃀 مما يدل على أن غسل اليدين والساقين أساسي في عملية التطهير، بل إن نطق الكلمة *wʿb* لعله يحوى منطوق الذراع ʿ مـ ، مع منطوق الساق *b* 𓃀 مما يعطى دلالة للكلمة أن غسل الذراع والساق واجب وضروري أثناء عملية التطهر، وأحياناً كانت تكتب هكذا 𓂝𓃀 مع مراعاة ضرورة قص أظافر اليد لأنها تنقض الطهارة، أو ربما قصد أن الماء لن يصل لهذه الأجزاء إلا بتمام قص الأظافر[٦٠].

- **غسل الوجه والرأس:**

أطلق عليه بالهيروغليفية *ỉʿỉ ḥrt* [٦١]، وهو يشمل تنظيف العينين، والأنف، والفم، والأذن، وشعر الرأس، والرقبة جيداً، ويكون الغسل بالتكرار عدة مرات مع تلاوة بعض الأدعية الدينية[٦٢] التى تفيد الرجاء، والابتهال لتقبل هذه الشعيرة، وكان على

---

(٥٦) سيرج سونيرون، كهان مصر القديمة، ص٤٢-٤٣.

(57) Wb I 39, 23.

(٥٨) سامى رزق بشاي، التطهر وأوضاع التعبد في مصر القديمة، ص١٣.

(59) Wb I 39, 8.

(٦٠) سامى رزق بشاي، التطهر وأوضاع التعبد في مصر القديمة، ص١٥.

(61) Wb I 39, 6.

(٦٢) حنان محمد ربيع حافظ، طقسة سكب الماء، ص١٦٢.

المنارة للاستشارات
www.

من يقوم بسكب الماء على المتطهر أن يكون طاهراً أيضاً هذا بالنسبة للأفراد العاديين، أما بالنسبة للكهنة فكان يقوم به اثنان من الكهنة المطهرين(٦٣).

- **غسل القدمين:**

تظهر كلمة *wꜥb* فى أحد صورها بالإناء فوق القدم 𓂝 لتعبر عن ضرورة غسل القدم ضمن عملية التطهر، وهناك كلمة أخرى تعبر عن غسل القدمين هى *ỉꜥỉ rdwỉ* (٦٤)، وظهر هذا بوضوح فى صلاية الملك نعرمر، وربما كان هذا الغسل يصل إلى الركبة وفق ما تدل عليه هذه العلامة فى الكتابة الهيروغليفية، كما أنه من الملاحظ أيضاً أن *wꜥbt* (بيت التطهر) الذى كان يعد فيه الخبز، والغذاء، وبقية أعمال الاغتسال، والتنظيف سواء بالمنزل أو الملحق بالمعبد لأداء نفس الأعمال أو للتحنيط ونحو ذلك كان يتضمن علامة القدم والإناء المسكوب فى الماء ليدل أيضاً على أهمية غسل القدمين أو التطهير نفسه لمن يدخل هذه الأماكن مع التأكيد على أهمية نظافة القدم(٦٥).

- **سكب الماء على الجسم كله:**

يوضح مخصص كلمة *wꜥb* التى تأخذ أحياناً مخصص الإنسان الجالس ويحمل على رأسه إناء يتدلى منه الماء 𓀀𓂝 ، وهذا يعبر عن أن التطهر يشمل إسالة الماء على الجسد كله فيشمل جميع أعضاء جسم الإنسان، بحيث يستوعبها الجسم كله.

وقد فرق المصرى القديم فى اللغة بين معنى (التطهر) *wꜥb* ، وبين معنى (الغسل) *ỉꜥỉ* (٦٦) والذى أضاف له ككلمة غسل الوجه، وغسل اليد، وغسل القدم، وغسل الفم، بل وغسل القلب أيضاً، كما أن معنى التطهر بخطواته الواضحة يشمل ما يتم لتمثال الإله، وللملك الحي، والملك الميت، وللكهنة، وللأفراد العاديين(٦٧).

ولم يقل اهتمام المصري القديم بتطهير الروح والقلب عن اهتمامه بتطهير الجسم، وتعكس النصائح الموجهة للملك مريكارع هذا المعنى بشكل واضح على النحو التالي: ما يدل على وجود شعيرة تعبر عن تطهير شهرى، فقد ورد فى النص ما يلى: "أقم آثاراً باقية للإله لأنها تجعل اسم صانعها يبقى، ودع المرء يعمل ما فيه صلاح روحه بتأدية الطهور الشهرى، ويلبس النعلين الأبيضين، ويزور المعبد....". ويتبين من هذا النص بوضوح تام أن الملك المصري القديم كان ضمن شعائره الدينية أن يتطهر مرة كل

(٦٣)سامى رزق بشاي، التطهر وأوضاع التعبد في مصر القديمة، ص١٧.

(64) Wb I 39, 22.

(٦٥) سامى رزق بشاي، التطهر وأوضاع التعبد في مصر القديمة، ص١٤.

(66) Wb I 39.

(٦٧) حنان محمد ربيع حافظ، طقسة سكب الماء، ص١٦٣.

المنارة للاستشارات
www.

شهر ثم يلبس النعلين الأبيضين اللذين من المؤكد أنهما مطهرين أيضاً، ثم يذهب إلى قدس أقداس المعبد ويظهر الرموز الدينية[٦٨]، ويبدو أنه كان في عقيدة المصري القديم أنها رحلة مقدسة مليئة بالروحانيات هدفها هو غسل روح الملك وتطهيرها من الذنوب مما يؤدي به لصلاح روحه. ولا شك أن هذا الصلاح يعود بعد ذلك بالأثر النافع على حكمه وعلى رعيته وإلا ما أوصى بها مريكارع ولده، وهذه الرحلة تشبه رحلة الحج والعمرة في الشعائر الإسلامية.

٢/٤ : طهارة الثوب:

بينت النصوص المصاحبة لعملية التطهر في مصر القديمة طهارة الثوب. فقد ورد فى أحد النصوص المصاحبة لتتويج الملك على العرش باعتبار أن (جد) هو المسئول الرئيسى عن الطهارة الخاصة بالملك، وقد ورد فيها: "إنك نفسك (جد) يعتمد عليك الملك"، حيث كان جد يختص بتطهير الرداءات المخلوعة من الملك، حيث كان الملك يلبس رداءه مرة أخرى بعد تطهيره بواسطة جد الذى يتلو هذا النص: "هذا الرداء إنك تلبسه فى رأسه، إنك ترتديه فى قدميه، إنك ترتديه فى جسده، إنك ترتديه فى ذراعه، إنك ترتديه عند نومه بالليل، عندما ينظر هذا الملك إلى مكانه، هو الملك فليحيا ويعيش سالماً معافاً من خلال تلك الماء المسكوب.....". ويوضح هذا النص أن تطهير الثياب من أهم الخطوات المصاحبة لعملية التطهير عموماً[٦٩]، وهكذا وكما سبق ذكره فإنه كان هناك تطهير للثياب سواء للكهنة أو الملوك أو الموتى أو الأحياء فطهارة الثوب كانت شرطاً أساسياً دائماً لعملية التطهير.

٣/٤ : طهارة المكان:

عمل المصري القديم على تطهير أماكن بعينها وهي التي كانت تأخذ مخصص الدار في كلمة *wꜥbt* للتعبير عن (المكان الطاهر)، ومن هذه المعاني المقبرة، ومكان التحنيط، والمعبد، وغرف المعبد، والمقاصير ونحو ذلك. فالمعبد من الأماكن الطاهرة المطهرة دائماً التي يجب ألا يدخلها غير المطهرين، كما أن كل شيء داخله طاهر بما فيه تمثال الإله نفسه، وأرديته، وكذلك أرضية المعبد كانت ترش أيضاً بالماء، ليس بهدف ترطيب وتسكين الرمال، ولكن هناك سر رمزى لهذه الطقسة التى دونت على جدران المعابد[٧٠]، ولا بد أن الغرض منها كان تطهير هذه الأرضية.

كما أن هناك بعض الأماكن التي تعداها التطهر حتى صبغه على المدينة بأكملها كمدينة طيبة، ويدل على ذلك ما ورد فى النص المدون على (لوحة بيعنخى)

([68]) Lichtheim, M., Ancient Egyptian literature, Vol. I, P.102.

([٦٩]) حنان محمد ربيع حافظ، طقسة سكب الماء، ص١٤٢.

([٧٠]) سامى رزق بشاي، التطهر وأوضاع التعبد في مصر القديمة، ص٢٦-٢٧.

المنارة للاستشارات
www.

المحفوظة بالمتحف المصري، وتعتبره لوحته أحد فراعنة مصر، وكانت حملته على مصر عام ٧٢٥ق.م[٧١] عندما أرسل جيشه إلى مدينة طيبة ومعهم تعليمات القتال قائلاً لهم: "وعندما تصلون إلى طيبة قبالة الكرنك انزلوا الماء، وطهروا أنفسكم (ويترجمها علي رضوان: توضأوا) في النهر، وطهروا أنفسكم في ملابس كتان نظيفة، وشدوا القوس، وارموا السهم، ولا تفخروا بأنكم أرباب القوة لأنه بدونه لا يكون لشجاع قوة، إذ يجعل القوي ضعيفاً، وبذلك تفر الكثرة أمام القلة، وأن رجلاً واحداً يستوي على ألف رجل، اغسلوا أنفسكم بماء قربانه، وقبلوا الأرض أمام محياه، وقولوا له: امنحنا سواء السبيل حتى يمكننا أن نحارب تحت ظل سيفك القوي، أما الشبان الذين أرسلتهم فسيكون النصر لهم، وسيروع الكثيرون منهم.....ثم ساحوا منحدرين في النهر إلى أن وصلوا إلى طيبة وعملوا وفق كل ما قاله جلالته"[٧٢]. ولا شك أن هذا النص يوضح تقواه العميق وإيمانه الراسخ بربه ويؤكد على حرمة وقدسية وطهارة مدينة طيبة التى كانت دائماً عاصمة دينية ذات حرم آمن لمصر على مر العصور، وبلغت حرمتها أن من يدخلها لابد أن يكون متطهراً مرتدياً الملابس البيضاء النظيفة الطاهرة وأن يدخلوا متواضعين غير فرحين ببأسهم وقوتهم لأنهم يستمدونها من ربهم وهم ضعفاء بدونه فقوته تجعل الكثرة تفر أمام القلة (ويقربها سليم حسن بقوله تعالى: قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)[٧٣]، وبالفعل قام الجيش بتنفيذ أوامر قائده.

وكان يصاحب أيضاً تطهير المكان تطهير للقرابين. ويتم ذلك مع التجهيزات اليومية بالمعبد صباح كل يوم حيث إعداد الخبز، والجعة، والفاكهة، والخضراوات، وقطع اللحم، والطيور، واللبن، والنبيذ، و.....الخ. وكان يجب أن تلقى هذه القرابين رضا الإله ورضا الناس لذلك كان يتم تطهيرها من خلال البئر المحفورة داخل المعبد حيث الماء المقدس ودوره في إقامة الشعائر، باعتباره يمثل المياه المنبثقة من نون ويكون ذلك بإضافة النطرون وإطلاق البخور العطرى[٧٤]، وهناك فائدة أخرى لسكب الماء على هذه القرابين خاصة زهور اللوتس والبردى وهو أن تظل يابسة لا تفقد حيويتها لأطول فترة ممكنة[٧٥].

وبذلك نرى اكتمال منظومة التطهر داخل المعابد فهو لا يدخله إلى المطهرون، كما أن هناك تطهر يومي لتمثال الإله، وللملك، وللكهنة، وللقرابين، ولأرضية المعبد،

(٧١) ألكسندر شارف، تاريخ مصر القديمة، ص ١٩٨.
(٧٢) سليم حسن، موسوعة مصر القديمة، ج ١١، ص ١٣-١٤.
(٧٣) سورة البقرة، الآية رقم (٢٤٩)..
(٧٤) ديمتري ميكس، الحياة اليومية للآلهة الفرعونية، ص٢٢٨.
(٧٥) سامى رزق بشاي، التطهر وأوضاع التعبد في مصر القديمة، ص٢٨.

المنارة للاستشارات
www.

ومن هنا يصبح حرماً آمناً لكل من يدخله أو يقترب منه، مما يدعونا إلى أهمية التعرف على حكمة التطهر عند المصرى القديم.

٥/ حكمة التطهر عند المصرى القديم:

يتبين من خلال النصوص السابق ذكرها حكمة التطهر عند المصري القديم وتتجلى بوضوح في الآتي:

- إن عادات النظافة والطهارة عند المصرى القديم فى حياته اليومية العادية كانت متميزة عن سائر المجتمعات الأخرى فى عصورها القديمة [٧٦].
- كان الهدف من التطهر عند المصرى القديم هو صلاح روحه، وما ورد فى التعاليم الموجهة للملك مريكارع يؤكد ذلك[٧٧].
- اعتقد المصرى القديم أن النظافة والتطهر بصفة عامة تخفف من أضرار الخرافات، وتقلل من الاعتماد على الرقى والتمائم فالوقاية خير من العلاج[٧٨].
- كان الغرض من منظومة تطهير المتوفى المتكاملة التي تشمل التطهير، والتبخير، والتلاوات، وتقدمة القرابين أن تنتقل قوة هذه الأشياء الطاهرة إلى المتوفى لأنه في عالم طاهر.
- ورد في النصوص أن التطهير يمحو كل السوء والشرور والبغض وكل فظيع يفعله الإنسان، كما يؤدى إلى أن يعيش الإنسان موفقاً معافاً سليماً صحيحاً طاهراً، لذلك فبعض المناظر كانت تصور إناء التطهر يتدلى منه علامة *nḫ* بدلاً من الماء دليلاً على الحياة.
- تبين أن التطهر يؤدى إلى الجمال والوضاءة واللمعان كأنه رع المشرق على تله[٧٩].
- يؤدى التطهر بالماء البارد إلى ترطيب القلب وإحيائه.
- التطهير البدنى يؤدى إلى تطهير نفس الإنسان (قرينه).

([٧٦]) عبد العزيز صالح، الأسرة المصرية في عصورها القديمة، ص٨٢-٨٣.

([77])Lichtheim, M., Ancient Egyptian literature, Vol. I, P. 102.

([٧٨]) عبد العزيز صالح، الأسرة المصرية في عصورها القديمة، ص٨٤.

([٧٩]) حنان محمد ربيع حافظ، طقسة سكب الماء، ص ١٣٧-١٥٥.

المنارة للاستشارات
www.

- إن تطهر الكهنة وتطهير الإله والملك وكل من يقوم بالخدمة اليومية فى المعبد هدفه التخلص من الأرواح الشريرة والقوى الشريرة التى داخل أجسامهم فلا تلوث هذا المكان المقدس، فالآلهة طاهرة ولا تقبل إلا كل طاهر.

- كان هدف تطهر الملك وصلاته قبل الخروج في المعارك الحربية أن يهبه الإله الرعاية، والحماية، والعون خلال المعركة(٨٠).

إذاً فقد جمع المصرى القديم في أدائه للتطهر بين الأغراض الحسية والمعنوية. وللتعرف على أصل فكرة التطهر ونشأته عند المصري القديم كان لا بد من المقارنة بفقه آخر حتى نصل إلى نتيجة في هذا الموضوع. وقد اخترت المقارنة بالفقه الإسلامي وذلك لعدة أسباب منها وضوحه، والإجماع عليه، وعدم الخلاف فيه، ولأنه آخر فقه سماوي مستمد من الكتاب والسنة، كما أنه أكمل ما لدينا من تشريعات على الإطلاق لذلك كانت هذه المقارنة ثم النتائج.

٦/ التطهر فى التشريع الإسلامى:

تبين مما سبق بالدراسة أن الطهارة هى النظافة، وفي الشرع صفة حكمية تبيح العبادت والأعمال التى يمنع فيها الحدث أو الخبث(٨١)، كما يقصد منها جانباً آخر معنوياً وهو التخلص من أمراض القلوب كالكبر والحسد(٨٢)، أما الغسل فهو طهارة بدنية تشمل جميع البدن بنية استباحة الصلاة وما منعه الحدث الأكبر، وله أسباب خاصة توجبه، وأسباب أخرى يستحسن من أجلها(٨٣)،ومن هذه التعريفات تتبين العلاقة بين الطهارة والغسل، فالطهارة منها الحسية وهى النظافة كالوضوء والغسل، ومنها الطهارة المعنوية التى تصل بالإنسان إلى القلب السليم، فلا تصفو الروح ولا القلب إلا بالوضوء والاغتسال.

أما الماء المستعمل فى التطهر فهو الماء المطلق. وحكمه شرعاً أنه طهور أى أنه طاهر فى نفسه مطهر لغيره(٨٤)، وهنا يجب ملاحظة أمر هام خاص بالتطهر بالماء عموماً. فقد قال العلماء أن اختيار الماء خاصة للطهارة ولإزالة النجاسة ولرفع الحدث دون غيره من سائر المواد هو أمر تعبدى أمرنا الله تعالى به ورسوله، والدليل على ذلك أنه لما بال الأعرابى فى المسجد قال النبى صلى الله عليه وسلم (صبوا عليه ذنوباً من ماء) فلو كان هناك غير الماء يصلح للطهارة لأمر به رسول

(٨٠) حنان محمد ربيع حافظ، طقسة سكب الماء، ص١٤٢-١٤٣، ص١٨٥-١٩١.
(٨١) عبد الجليل شلبي، فقه العبادات، ص١٠.
(٨٢) هشام الكامل حامد موسى، الإمتاع بشرح متن أبي شجاع، ص٤١.
(٨٣) عبد الجليل شلبي، فقه العبادات، ص٤٨.
(٨٤) السيد سابق، فقه السنة، الجزء الأول، ص١١.

المنارة للاستشارات
www.

الله صلى الله عليه وسلم[٨٥]، وهناك موجبات للغسل ومستحبات فى التشريع الإسلامى.

١/٦ : موجبات الغسل فى التشريع الإسلامى:

يجب التطهر في الشرع الإسلامي لأمور خمسة:

١/١/٦ : الجنابة:

إذا جامع الرجل المرأة فقد وجب الغسل عليهما. وذلك لما ورد في قوله تعالى: "... وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ....."[٨٦]، وكلمة جنباً تطلق على الجماع، وهذا من كلام العرب[٨٧]،كما ورد فى الحديث الشريف عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعَبِهَا الأَرْبَعِ، ثُمَّ جَهَدَهَا فَقَدْ وَجَبَ الغَسْلُ"[٨٨].

٢/١/٦ : النفاس:

يعتبر النفاس من موجبات الغسل فى التشريع الإسلامى، وحتى إذا تمت عملية الولادة بدون دم فتغتسل النفساء عقب الولادة وتصلى وتصوم[٨٩]، والدليل على ذلك قوله تعالى: ".... وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ"[٩٠].

٣/١/٦ : انقطاع الحيض :

يعتبر انقطاع الحيض موجباً للغسل فى الشريعة الإسلامية، وكما قال الفقهاء أقله دفقة من الدم وأكثره خمسة عشر يوماً[٩١]. وذلك لقوله تعالى: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ....."[٩٢]. وورد فى الحديث

---

(٨٥) هشام الكامل حامد موسى، الإمتاع بشرح متن أبى شجاع، ص١٧.
(٨٦) سورة المائدة، الآية رقم(٦).
(٨٧) السيد سابق، فقه السنة، الجزء الأول، ص٤٥-٤٦.
(٨٨) صحيح البخاري، كتاب الغسل، باب: إذا التقى الختانان، حديث رقم (٢٩١).
(٨٩) عبد الجليل شلبي، فقه العبادات، ص٦٤.
(٩٠) سورة البقرة، الآية رقم (٢٢٢).
(٩١) عبد الجليل شلبي، فقه العبادات، ص٦٠-٦١.
(٩٢) سورة البقرة، الآية رقم (٢٢٢).

المنارة للاستشارات
www.

الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة بنت أبى حبيش: "إِذَا أَقْبَلَتِ الحَيْضَةُ، فَدَعِي الصَّلاَةَ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ، فَاغْسِلِي عَنْكِ الدَّمَ وَصَلِّي"[٩٣].

٤/١/٦ : نزول المني:

ويكون من الرجل والمرأة فى اليقظة أو النوم[٩٤]، وذلك لما ورد في الحديث الصحيح عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: جاءت أم سليم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: "يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ، هَلْ عَلَى المَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا هِيَ احْتَلَمَتْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ إِذَا رَأَتِ المَاءَ"، والمراد هنا (المنى)[٩٥].

٥/١/٦ : الموت:

إذا مات المسلم وجب تغسيله إجمالاً إلا الشهيد فلا يغسل[٩٦].

٢/٦ : مستحبات الغسل فى التشريع الإسلامى:

أما عن الأغسال المستحبة فى التشريع الإسلامى فهى التي يمدح ويثاب فاعلها، ولا يلام ولا يعاقب تاركها ومنها:

- **غسل العيدين:** استحب العلماء الغسل للعيدين لمن أراد أن يصلى أو لا يصلى لأنه يوم زينة[٩٧].
- **غسل الجمعة:** لأنه يوم اجتماع للعباد والصلاة حتى يكون المصلون على أحسن حال من النظافة والتطهر فى اجتماعهم[٩٨].
- **غسل الإحرام:** يعتبر الاغتسال قبل الإحرام مندوباً لمن أراد أن يحرم بالحج أو العمرة عند جمهور الفقهاء[٩٩]، وذلك لحديث عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَجَرَّدَ لِإِهْلاَلِهِ وَاغْتَسَلَ[١٠٠].

([٩٣]) صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب: إذا رأت المستحاضة الطهر، حديث رقم (٣٣١).
([٩٤]) هشام الكامل حامد موسى، الإمتاع بشرح متن أبي شجاع، ص٤١.
([٩٥]) صحيح البخاري، كتاب الغسل، باب: إذا احتلمت المرأة، حديث رقم (٢٨٢).
([٩٦]) هشام الكامل حامد موسى، الإمتاع بشرح متن أبي شجاع، ص٤٢.
([٩٧]) هشام الكامل حامد موسى، الإمتاع بشرح متن أبي شجاع، ص٤٥.
([٩٨]) السيد سابق، فقه السنة، ج ١، ص٤٨.
([٩٩]) هشام الكامل حامد موسى، الإمتاع بشرح متن أبي شجاع، ص٤٦.
([١٠٠]) حديث حسن غريب رواه الترمذى، سنن الترمذي، باب: ما جاء في الاغتسال عند الإحرام.

المنارة للاستشارات
www.

- **عند دخول مكة وأداء شعائر الحج:** يستحب لمن أراد أن يدخل مكة أن يغتسل، وهذا مستحب عند جميع العلماء[١٠١]، وكذلك مستحب لمن أراد الوقوف بعرفة، والمبيت بالمزدلفة، والوقوف بالمشعر الحرام، ورمى الجمرات، والطواف، ودخول المدينة المنورة، وبصفة عامة فإن الغسل سنة فى أى اجتماع حيث نظافة البدن وجمال الصورة[١٠٢].

٣/٦ : الطهارة من الخبث:

تعنى الطهارة من الخبث طهارة الثوب والمكان والبدن، وهى شرط فى صحة الصلاة، وهذا هو حكمها عند جمهور الفقهاء، والخبث هنا هو النجاسات التى يجب التخلص منها قبل الطهر، والنجاسات هنا فى الشريعة الإسلامية هى الميتة من كل حيوان برى، والدم المسفوح، ولحم الخنزير، وبول الإنسان، وغائطه، وبول وروث كل ما لا يؤكل لحمه كالحمار، والمذي، والودي، ودم الحيض، ودم النفاس، ودم الاستحاضة، والمني (على خلاف بين طهارته ونجاسته عند الفقهاء)[١٠٣].

١/٣/٦ : تطهير البدن:

أما عن طهارة البدن فقد ورد في قوله تعالى: "... .إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ"[١٠٤]، كما ورد فى الحديث الشريف عن ابى عمر رضى الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم: "طهروا هذه الأجساد طهركم الله ....."[١٠٥]. أما عن كيفية الغسل فلها فرائض وسنن، أما الفرائض فهي النية، وموالاة الغسل، وتعميم ظاهر الجسد بالماء سواء انغمس فيه أو صبه على بدنه، والتدليك، وتخليل الشعر سواء كان خفيفاً أو كثيفاً ليصل إلى البشرة نفسها؛ وأما سننه فهى غسل اليدين إلى الكوعين، والمضمضة، والاستنشاق، والاستنثار، ومسح ثقب الأذن (الصماخ)، والأفضل للمغتسل أن يزيل الأذى أولاً مع التسمية، وعدم الإسراف فى استخدام الماء[١٠٦].

(١٠١) السيد سابق، فقه السنة، ج ١، ص٥٠.
(١٠٢) هشام الكامل حامد موسى، الإمتاع بشرح متن أبى شجاع، ص٤٦.
(١٠٣) محمد بكر إسماعيل، الفقه الواضح، ص١١١ وما بعدها.
(١٠٤) سورة البقرة، الآية رقم (٢٢٢).
(١٠٥) رواه الطبرانى، المعجم الكبير، حديث رقم (١٣٦٢٠).
(١٠٦) عبد الجليل شلبي، فقه العبادات، ص٤٩-٥١.

المنارة للاستشارات
www.

٢/٣/٦: تطهير الثوب:

إن أصاب الثوب نجاسة وكان لها جرم مثل الدم والغائط فإنها تحك وتدلك بالأصابع، وتغسل بالماء، قال تعالى: "وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ"(١٠٧). وقد بينت السنة النبوية الشريفة كيفية تطهير الثوب فى حديث لأسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما قالت: جاءت امرأة للنبى صلى الله عليه وسلم وقالت: إحدانا يصيب ثوبها من دم الحيض فكيف تصنع؟ قال: "تحته (أى تحكه) ثم تقرصه (أى تدلكه)، ثم تصلى فيه"، وذلك لأنه لو بقى طعم النجاسة فى الثوب دليل على أنه لم يتطهر ويعاد غسله حتى يتم زوال النجاسة نهائياً(١٠٨).

٣/٣/٦ : تطهير المكان:

أما عن طهارة مكان العبادة فقد ورد في قوله تعالى عن طهارة المساجد: "....لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ"(١٠٩)، أما عن تطهير الأرض فإنها تطهر بصب الماء الكثير عليها، لحديث الأعرابى الذى بال فى المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ"(١١٠).

٤/٣/٦ : تطهير النعل :

تطهير النعل المتنجس والخف بالدلك بالأرض إذا ذهب أثر النجاسة، وذلك لحديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا وطئ أحدكم بنعله الأذى فإن التراب له طهور" رواه أبو داود. ولأنه محل تتكرر ملاقاته للنجاسة غالباً، فأجز أمسحه بالجامد كمحل الاستنجاء به هو أولى(١١١).

(١٠٧) سورة المدثر، الآية رقم (٤).
(١٠٨) محمد بكر إسماعيل، الفقه الواضح، ص١٢٣-١٢٤.
(١٠٩) سورة التوبة، الآية رقم (١٠٨).
(١١٠) صحيح مسلم، كتاب: الطهارة، باب: وجوب غسل البول وغيره من النجاسات.
(١١١) السيد سابق، فقه السنة، ج١، ص٢٠-٢١.

المنارة للاستشارات
www.

وبالإجماع فإنه يكاد ينعقد على وجوب طهارة ثوب المصلى ومكانه وبدنه لدلالة الكتاب والسنة عليه[١١٢]. بل إن العلماء قالوا أن هذا هو تفسير قوله تعالى: "وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ"[١١٣]. وذلك لأنهم جمعوا بين طهارتهم البدنية الحسية وطهارتهم الروحية، حيث قال تعالى (يحب المتطهرين) ولم يقل (يحب المغتسلين) وجمعوا بين طهارة ملبسهم والمكان الذى هم فيه فقد توفرت الطهارة المتكاملة لهم سواء أرادوا بها أداء عبادة أو شعائر معينة، أم لم يريدوا ذلك.

٥/٦ : حكمة التطهر فى التشريع الإسلامى :

- هو أمر تعبدى أمرنا الله تعالى به، والماء هو الأصل فى التطهر[١١٤].

- الطهارة شطر الإيمان، وذلك دليل على مكانتها فى الإسلام، فعن أبى مالك الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الطهور شطر الإيمان"[١١٥]. وذلك لأن الطهارة هى نصف الإيمان، والطهور يشمل الطهارتين الحسية والمعنوية. وقال الإمام الغزالي أن الطهور فى هذا الحديث أنواع:

أ – تطهير الظاهر من الأحداث، والأخباث، والفضلات.

ب – تطهير الجوارح من الجرائم والآثام.

جـ– تطهير القلب من الأخلاق المذمومة والرذائل[١١٦].

- التطهر يكفر الخطايا ويحط به الذنوب، فقال النودى فى شرح الحديث السابق أن الإيمان يجب ما قبله من الخطايا، وكذلك الوضوء لأنه لا يصح إلا مع الإيمان فصار لتوقفه على الإيمان فى معنى الشطر، ويؤيد ذلك ما ورد فى حديث آخر عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ، حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِه"[١١٧]، والخروج هنا فى الحديث خروج مجازي[١١٨].

---

(١١٢) محمد بكر إسماعيل، الفقه الواضح، ص١٢٢–١٢٥.
(١١٣) سورة البقرة، الآية رقم (٢٢٢).
(١١٤) هشام الكامل حامد موسى، الإمتاع بشرح متن أبى شجاع، ص١٨، ١٩.
(١١٥) صحيح مسلم، كتاب: الطهارة، باب: فضل الوضوء.
(١١٦) محمد بكر إسماعيل، الفقه الواضح، ص٢٨–٢٩.
(١١٧) صحيح مسلم، كتاب: الطهارة، باب: خروج الخطايا مع ماء الوضوء.
(١١٨) أبى زكريا يحيى بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٣، ص١٣٣.

المنارة للاستشارات
www.

- التطهر والصلاة يرفعان درجة المؤمن، فورد فى الحديث الشريف عن أبى هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ مَشَى إِلى بَيْتٍ مَنْ بُيُوتِ اللهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللهِ، كَانَتْ خَطْوَتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً، وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً"(١١٩).

- الطهارة من دواعى الفطرة السليمة فالنفس تميل إلى النظافة. كما أنها تحصن الجسم من الأمراض، فالله عز وجل شرع التطهر لتنشيط قلب الإنسان وأعضاء جسمه وترويح نفسه، كما أن تطهر الجسم يؤدى إلى تطهر الروح.

- التطهر يؤدى إلى محبة الله عز وجل، وهذا تبين من الآيات السابق ذكرها، وذلك لأن الوقوف أمام الله عز وجل فى الصلاة والإنسان طاهراً نظيفاً وعند قراءة القرآن يكون ذلك من أسباب محبة الله تعالى(١٢٠).

٧/ أصل فكرة التطهر عند المصري القديم:

أمكن التوصل من خلال هذه الدراسة إلى أن المصرى القديم أدرك معنى التطهر الحسى والمعنوى كالمسلم تماماً وبما يوافق شريعته وذلك وفقاً لهذه الحيثيات التى أمكن التوصل إليها على النحو التالي:

- إن كلمة $w^{c}b$ ومشتقاتها الخاصة بالتطهر لها نظير فى اللغة العربية (وَعَبَ) وتعنى (إيعابك الشئ فى الشئ) كأنك تأتى عليه كله، ومنه أيضاً (الوعاء الوعيب) وهو (الوعاء الواسع الذى يستوعب كل ما جعل فيه)(١٢١)، والتطهر عند المصرى القديم لابد أن يستوعب الجسم كله، أما الوعاء الوعيب فربما كان الطست الذى يتطهر فيه الملوك والأفراد فيستوعبهم.
- التطهر فى الشرع الإسلامى هو طهارة حدث وتكون بالوضوء والغسل، وعند المصرى القديم عرف الغسل، أما الوضوء فمكانه عنده طقسة سكب الماء حتى أنه قد توصلت دراسة إلى أن هذه الطقسة تكرر في اليوم ٤ أو ٥ مرات في اليوم والليلة بدلاً من التطهر.
- موجبات الغسل عند المصرى القديم هى الجنابة والنفاس وانقطاع الحيض والموت، وهى نفس موجبات الغسل فى التشريع الإسلامى، أى أنه هناك تطابق بينهما.

(١١٩) صحيح مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الوضوء، باب: المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات.
(١٢٠) هشام الكامل حامد موسى، الإمتاع بشرح متن أبي شجاع، ص١٩.
(١٢١) ابن منظور، لسان العرب، ص٤٨٧٠.

المنارة للاستشارات
www.

• كان على المصرى القديم أن يتطهر أيضاً قبل القيام بأداء الشعائر الدينية والاحتفالات بل إن تمثال الإله نفسه كان يطهر داخل قدس الأقداس وكل ما حوله لابد أن يكون طاهراً. وربما يرجع هذا إلى فكرة التقديس فى حق الإله، فالتقديس لغة (التطهر)، وتقديس الله هو تطهيره سبحانه من كل الأغيار، ولأن الله قدوس طاهر فلا يليق أن يرفع له إلا كل طاهر، ولعل هذا يفسر كل الكيان المطهر حول الإله، وقد ورد في أحد النصوص عن عزلة الإله: "إنها أكثر مناعة مما يتراءى فى السماء أو أكثر غموضاً من أحوال العالم الآخر وأكثر تمجيداً من ساكنى المحيط الأولى"(١٢٢). إذاً فمنشأ فكرة تطهير كل ما حول الإله بدأت سماوية أولاً. خاصة إذا قارننا تطهير المعبد عند المصري القديم بقوله تعالى: ".... وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ"(١٢٣).

• أما التطهر قبل الخروج للمعارك الحربية فمن العجيب أن هذا يوافق تطهير الله تعالى للمؤمنين قبل غزوة بدر، ويبدو أن المصري القديم أدرك هذه المعانى الهامة للتطهر.

• أما عن أعضاء الجسم الواجب غسلها فى التطهر عند المصري القديم فهى تتطابق مع التشريع الإسلامى فهى تشمل سكب الماء على الجسد كله أكثر من مرة مع ضرورة غسل الفم، واليدين، والوجه، والرأس، الذي يشمل الأنف والأذن والعينين ثم القدمين.

• أماعن النجاسات فهي تتشابه عند المصرى القديم مع ما ورد فى الشريعة الإسلامية ومنها مثلاً دم الحيض والخنزير والمنى (وهو طاهر عند الشافعية ونجس عند الحنفية).

• وعن إزالة الخبث في الثوب والمكان فتطهر الثياب موجود عند المصري القديم وفي التشريع الإسلامي كما وضح من قبل، أما عن طهارة المكان فإن أرضية المعبد كانت تطهر بالماء، كما تم تطهير المسجد النبوى لما دخله الأعرابى وبال فيه فالوسيلة واحدة، كما أن هناك أماكن طاهرة ذات حرم آمن محرمة كطيبة لا يدخلها إلا طاهر متطهر يلبس الثياب البيضاء، لا يدخلها بعدة الحرب. ولعلها تتشابه فى ذلك مع مناسك المسلم المحرم عند دخوله لمنطقة المشاعر المقدسة.

• كان على الكهنة المرتلين أن يقرأوا التعاويذ وهم متطهرون، وهذا فى حد ذاته يتشابه مع التعاليم الخاصة بقراءة القرآن الكريم، وذلك يبدو في قوله تعالى: "لَا يَمَسُّهُ

(١٢٢) حنان محمد ربيع حافظ، طقسة سكب الماء، ص١٤٢-١٤٣، ص١٨٥-١٩١.
(١٢٣) سورة الحج، الآية رقم (٢٦).

المنارة للاستشارات
www.

إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ"[١٢٤]. وهذا يعني أن منشأ هذه الفكرة عند المصري القديم كان سماوياً أيضاً ثم توارثته فئة الكهنة بعد ذلك على مر العصور.

- أما أكثر ما يؤكد هذا التناظر الخاص بالتطهر فى كلا التشريعين المصرى القديم والإسلامى فهو حكمة التطهر فى كليهما والذي يتضح في أن هدفه العام هو صلاح روح الإنسان، وتطهير الجوارح من الجرائم والآثام، ومحو الذنوب، وتطهير الإنسان والقلب من الأخلاق المذمومة، وتجنب الخرافات والأرواح الشريرة، والمحافظة على صحة الجسم، ثم الجمال والوضاءة واللمعان، وأخيراً إحياء القلب، وتطهيره من الأخلاق الذميمة كالعجب والحسد والكبر[١٢٥].

الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة بالبحث أصل فكرة التطهر عند المصري القديم ومنشأها وذلك من خلال تناول المعنى اللغوي أولاً ثم موجبات الغسل وكيفية التطهر وإزالة الخبث وحكم التطهر عند المصري القديم وما يناظر ذلك كله في التشريع الإسلامي، باعتباره آخر وأكمل وأوضح تشريع سماوي. وهنا نتساءل كيف استمد المصري القديم فكرة التطهر منذ بدايته؟ وأن يكون بماء النيل الطاهر المقدس؟ وحكمة التطهر عنده؟ والحالات والأماكن التي يجب أن تكون طاهرة؟

قال العلماء أن المجتمع المصرى القديم شاع فيه الوازع الدينى، والإنسانى، والأخلاقى الأصيل الذى فهم هذه الفضائل التى لم تهتدي لها كثير من الحضارات والأمم الأخرى القديمة، وأن المصرى البسيط الكادح كالعمال والخدم الذين لم ينالوا نعيم الدنيا عوضهم الله بروح صبورة متفائلة أعانتهم على تحمل مشاق الحياة الدنيا. وهنا أقول أن هذا لا شك مرجعه دينى وليس فطرى فقوة الإيمان هى التى تؤدى إلى الصبر والتحمل. أما عن نشأة فكرة التطهر عند المصري القديم فنقول إن الوازع الديني والإنساني والفطري يمكن أن يوصل الإنسان للفكرة نفسها. أما التطابق والتناظر بين الشريعتين المصرية القديمة والإسلامية من حيث كيفية التطهر، وموجباته، وطهارة الحدث، وطهارة الخبث، والحكمة من التطهر حسياً ومعنوياً، فهذا يمكن رده إلى أنهما ينبعان من مشكاة واحدة، هي مشكاة السماء، وأن التطهر بدأت فكرته في الأساس سماوية مع فكرة الوحدانية في مصر القديمة ثم استمرت بعد ذلك متوارثة عبر العصور.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١٢٤) سورة الواقعة، الآية رقم (٧٩).

(١٢٥) شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسينى الألوسي، روح المعاني، ج ٨، ص٥٥١.

المنارة للاستشارات
www.

قائمة المراجع

أولاً: المصادر العربية:

-القرآن الكريم.

-ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.

-ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.

-أبو زكريا يحيى بن شرف النووى، صحيح مسلم بشرح النووى، مكتبة الإيمان، القاهرة، ١٩٩٦م.

-سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ١٩٩٤ م.

-شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسينى الألوسى، روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

-محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

-محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، الجامع الكبير – سنن الترمذي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

-مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

ثانياً: المراجع العربية:

-أدولف إرمان، ديانة مصر القديمة، ترجمة: عبد المنعم أبو بكر، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، القاهرة، ١٩٩٧م.

-السيد سابق، فقه السنة، دار الفتح للإعلام العربى، القاهرة، ١٩٩٩م.

-ألكسندر شارف، تاريخ مصر القديمة من فجر التاريخ حتى إنشاء مدينة الإسكندرية، ترجمة: عبد المنعم أبو بكر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.

-جورج بوزنر وآخرون، معجم الحضارة المصرية القديمة، ترجمة: أيمن سلامة، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، القاهرة، ١٩٩٦م.

-جيمس هنري برستيد، فجر الضمير، ترجمة: سليم حسن، مكتبة الأسرة، مهرجان القراءة للجميع، القاهرة، ١٩٩٩م.

-حنان محمد ربيع حافظ، طقسة سكب الماء فى مصر والعراق القديم: دراسة تحليلية مقارنة، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧م.

-ديمتري ميكس، الحياة اليومية للآلهة الفرعونية، ترجمة: فاطمة عبد الله محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م.

المنارة للاستشارات
www.

-ريتشارد ولكنسون، دليل الفن المصرى القديم، ترجمة: حسن حسين شكرى، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠١٠م.

-سامي رزق بشاى، التطهر وأوضاع التعبد في مصر القديمة خلال الدولة الحديثة، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩١م.

-سليم حسن، موسوعة مصر القديمة، الجزء الحادي عشر: تاريخ مصر والسودان من أول عهد بيعنخي حتى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين ولمحة في تاريخ آشور، مكتبة الأسرة، مهرجان القراءة للجميع، القاهرة، ٢٠٠٠م.

-سيرج سونيرون، كهان مصر القديمة، ترجمة: زينب الكردي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥م.

-عبد الجليل شلبي، فقه العبادات وملحق عن الأطعمة والإيمان والنذور، وزارة الأوقاف، القاهرة، ٢٠٠٣م.

-عبد العزيز صالح، الأسرة المصرية فى عصورها القديمة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨م.

-عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول: مصر القديمة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٩م.

-محمد بكر إسماعيل، الفقه الواضح من الكتاب والسنة على المذاهب الأربعة، دار المنار، القاهرة، ١٩٩٧م.

-هشام الكامل حامد موسى، الامتاع بشرح متن أبى شجاع فى الفقه الشافعى، دار المنار، القاهرة، ٢٠١١م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

Erman, A. und Grapow, Worterbuch der Agyptischen Sprache, Bd.1-6, Berlin, 1971.

Fairman, H.W., In Hooks, Myth, Rutual and Kingship, Manchester, 1958.

Faulkner, R.O., The Ancient Egyptian pyramid Texts,Oxford, 1969.

Gardiner, A., Egyptian Grammar, Oxford, 1976.

Ikram,S., Death and Burial in Ancient Egypt, AUC, 2015.

Lichtheim, M., Ancient Egyptian literature, Vol. I, the Old and Middle Kingdom, California, 1975.

المنارة للاستشارات
www.

Purification in ancient Egypt: the origin of his holy idea

Dr. Rehab Abdel Monem Baza

Abstract:

What was the most important characteristic of the ancient Egyptian civilization is material and moral purification, there cleanse the body and cleanses the soul. Priests in ancient Egypt was their most Astmsaka rituals of purity and purification. Also there were the traditions and rituals performed for kings and priests resulted from the needs of their environment and the need for this purity. There is no doubt that this purification has arisen from a religious idea made him sacred. There was a purity to the hands, feet, nails and other members of the body. There is a special cleaner for the body marked out the old members of the Egyptian people. I knew this ritual recorded artifacts since the reign of King Narmer urged King barefoot and was succeeded by a vase of water purification symbol stands.

Key Words

Purification, Washing, Menstruation, Janabah, puerperality, Death, Holy.

المنارة للاستشارات

www.